

## نقد الترجمة بين الانطباعية و التقليد

محمد لمين لطرش

جامعة قسنطينة 1

### مقدمة:

كان لتوسع البحث العلمي و ظهور اختصاصات و تفرعات كثيرة و متشعبة لمختلف الفنون و العلوم خاصة ما تعلق منها بمناهج الدراسات اللغوية و الأدبية و الاجتماعية بالغ الأثر في تحرك عنصري النماء و التطور في الدراسات الترجمية. و لم يتعلق هذا التطور بمجال الدراسات النظرية فحسب بل كان سبقه و عاصره زخم هائل من الترجمات التي صارت تزاخم التأليف و تترصد الإصدارات العلمية و الأدبية لنقلها إلى مختلف اللغات حتى إلى تلك اللغات التي ظلت منغلقة و حبيسة القبلية و المحلية لفترات زمنية طويلة. و التصقت عديد الدراسات في حقل الترجمة بالمباحث اللغوية النحوية و الدلالية و انبنت عليها أسسها و قواعدها و بقيت كذلك طوال الفترة التي عدت الترجمة فيها جزءا مغمورا في الحقل اللغوي و تابعا له تبعية مطلقة. و أكثر ما احتاجت الترجمة إليه منذ توسع النشاط الترجمي هو الإطار و المناهج النقدية الترجمية المستقلة التي لا بد منها لكل ترجمة و لا غنى عنها لكل مهتم بهذا الجانب، كيف لا و كل فن من الفنون الراقية أو علم من العلوم المتطورة خاصة منها الإنسانية و الاجتماعية ما كان له أن ينتظم و لا أن يتطور في حدود منهجية لولا ارتكازه على جانب النقد المتعلق بدراساته و مباحثه.

و لأن الترجمة نشاط يكون أساسه المترجم بكل ما يتصف به من الصفات العلمية و الشخصية. أما الصفات العلمية فأهمها عند أهل هذا الاختصاص إلمام المترجم باللغة المترجم منها و اللغة المترجم إليها، و هو شرط و ضابط من ضوابط ممارسة الترجمة جعله المتحدثون في مجالها أولى أولوياتهم منذ القدم. و من الصفات العلمية أيضا العلم بمجال النص المترجم من جهة تحصيل الضروري من

مبادئه التي يتأسس عليها و يتميز بها عما دونه من المجالات و كذا الإحاطة بتقنيات الترجمة و مناهجها.

أما الصفات الشخصية للمترجم فلا تخرج عن مجمل الصفات البشرية من تفاوت مستوى الإدراك و الوعي و كذا تنازع جانبي الذاتية و الموضوعية اللذين ينعكسان مباشرة على مسألة الوفاء في الترجمة سواء سلبا أم إيجابا. و أيضا قضية الدافع و الغاية اللذين يتأسسان كمنصرين رئيسين يوجهان في كثير من الأحيان مسار العملية الترجمية و حيثياتها.

و بين هذه و هذه يبقى لا بد من تدخّل النقد و التقييم بعد العملية الترجمية لكشف بصمات الذاتية و تقويم الانحرافات المنهجية و اللغوية المحتملة. و هذا التدخّل مؤسس على المسئلة التي تجاوزه الخلف في مجال الترجمة ألا و هي أن كلّ ترجمة تبقى ناقصة و "مُخلّة" بجانب من معاني نص الانطلاق أو مبناه. و قد رسخ هذا الاعتقاد في ميدان الدراسات الترجمية حتى عُيّنت مؤلفات كاملة بجانب الوفاء و الموضوعية في الترجمة.

ولئن كان لا مناص من تحكيم النقد في ميدان الترجمة فلا بد كذلك من الإقرار بهلامية هذا المبحث و حداثة منشأه مقارنة بمناهج النقد في معظم العلوم الإنسانية و الاجتماعية و أيضا اقتصراره على رؤى فردية و اجتهادات شخصية لبعض الوجوه المعروفة بالاهتمام بالمباحث النظرية و المنهجية في الترجمة و إن كان بعضها مؤسسا على مباحث دلالية و لسانية. و مع إقرارنا بفتوة الدراسات الترجمية في العموم فإن هذا التأخر الذي يشهده مجال نقد الترجمة يبقى موقعا للغرابة.

و قد يُبرر البعض هذا التخلف عن ركب النقد في الدراسات الاجتماعية و الإنسانية بكون نظريات الترجمة و تقنياتها و مناهجها دراسات و رؤى معاصرة لم يتجاوز معظمها قرنا من الزمن على قلة هذه الفترة في مقياس تطور العلوم و الآداب. و قد يُرجع البعض

الآخر هذا التأخر إلى عدم استقرار تلك الدراسات و المباحث أصلا باعتبار أغلبها مرتبطا ارتباطا وثيقا بجوانب النحو و الدلالة و اللسانيات مما جعل فريقا من المتخصصين في علوم اللسان لا يعترفون باستقلال الترجمة عن المباحث اللغوية المحضة. و تبقى الدراسات الترجمية تتنازعها التيارات المختلفة من أدبية و هيرمينوطيقية و سوسiolسانية و غيرها مما يتأسس على وجهات نظر مختلفة للعملية الترجمية تؤدي بالضرورة إلى تباين أوجه النقد و التقييم و المقارنة.

و في محاولة منا لاستبيان واقع نقد الترجمة عموما و الدراسات الأكاديمية المبنية على عنصر نقد الترجمة على وجه الخصوص، لا بد أولا من نظرة تأملية في حقيقة نقد الترجمة.

### واقع نقد الترجمات:

لا يختلف واقع نقد الترجمات اليوم كثيرا عن سابقه في بدايات بروز هذا العنصر إلى ساحة اهتمامات الدارسين و المنظرين. و لعل ما أسهم في بقاء هذه الحال على درجة معينة من الثبات و الجمود الذي تهزه أحيانا محاولات متفرقة هو غياب معايير ثابتة و عالمية يُحتكم إليها في نقد الأعمال الترجمية. و بالرغم من هذه الوضعية فإن المترجمين و المتلقين للأعمال المترجمة لا يزالون يُصدرون أحكاما مختلفة على الأعمال المترجمة تنحصر غالبا في ثنائيات الصحة و الخطأ و الأمانة و الخيانة و الموضوعية و الذاتية. و رغم محاولات نحو المنحى الموضوعي في نقد الترجمات إلا أن الانطباعية تدخلت و لا تزال في العديد من التقييمات لمثل هذه الأعمال خاصة إذا تعلقت بالترجمات الأدبية كالشعر و المسرح إذ يجد الناقد لها أو محلها نفسه يتحدث عن شعوره و انطباعه بخصوص الأثر الذي تُحدثه الترجمة في نفسه يحضر عندها التناقض الجمالي و الحس الأدبي و غير ذلك مما لا يخلو من الذاتية و الانطباعية.

أما نقد الترجمات العلمية و الترجمات في مجال العلوم الاجتماعية مثلا فهي و إن كانت أبعد من الأولى عن الانطباعية إلا أنها لا تسلم دائما منها و تبقى ضائعة بين الشتات الذي يحكم نقد الترجمة في ظل غياب معايير محددة يقوم عليها.

### أهمية نقد الترجمة ودوره:

يُمثل العمل المترجم نسخة من النص الأصلي تحل محلّه في نقل المعلومة و إيقاع الأثر. و لنن كان العنصر الثاني أشد على المترجم من حيث تحقيقه فإن نقل المعلومة أهم من حيث هو المقصود بالدرجة الأولى في معظم الأعمال الترجمة باستثناء الأعمال الشعرية و المسرحية التي تكون مغمورة في الجانب الفني الإبداعي. و في كل الأحوال ينبغي توفير نوع من الضمان لقارئ النص المترجم لأن معظم القراء يندمج مباشرة في جو النص المقروء ثم ما يلبث أن ينسى بأنه مترجم و يحمل عندها النص المترجم على محمل المطابقة للأصل. و هذا الضمان إن لم يكن في الواقع مطلوباً عند فئة المتلقين بسبب خفة الوعي عند معظمهم بمزالق الترجمة و أخطائها التي تتدرج على طول سلم الخطورة من البسيط إلى الخطير فإن مسؤولية توفير الضمان للقارئ تقع عينا لازما و ضروريا على عاتق ناقد الترجمة. و من أوضح الأمثلة على وجوب تدخل النقد في العمل الترجمي هو ما ل كثير من النصوص التي كان لها نصيب وافر من تعدد الترجمات على غرار الكتاب المقدس و القرآن كريم و الأعمال الأدبية ذات الشهرة العالمية. و إذا كانت الأعمال الأدبية تتميز بجانب من المرونة في تقبل تنوع الترجمات و تدخل العنصر الشخصي الإبداعي من جانب المترجم في محاولة تجسيد العنصر الجمالي فإن من المعلوم أن النصوص المقدسة تركز على الأحكام و التشريعات المبنية على أساس التوجيه و الأمر و كذلك الجانب القصصي الهادف المثقل بالحكم و الغايات و هذا كله يكون في لغته الأصلية في نسيج لغوي و جمالي على درجة عالية من الدقة و هو في القرآن مثلا معجز غير قابل للتقليد في أصله فكيف بمجاراته في الترجمة؟

و من خلال النظر في تعدد ترجمات معاني القرآن الكريم مثلا نجدها باللغة الفرنسية بأعداد كبيرة ينتفي معها التصور بإمكان اقترابها جميعا من النص الأصلي لأن هذا التصور في هذه الحالة يُحيل إلى التساؤل عن مدى جدوى تعددها خاصة و أنها في معظمها ترجمات حديثة متقاربة زمنيا، و إذا تصورنا قربها جميعا من معاني النص الأصلي، فهل تنوع الأساليب و الصور في هذه الترجمات مبرر لتعدددها و قد سلّمنا من قبلُ باستحالة ترجمة النظم القرآني؟ ثم من خلال النظر في محتواها و الاطلاع على بعض الدراسات النقدية لبعض هذه الترجمات ندرك مدى التباين الحاصل بينها من جهة أولى و لجوء بعض المترجمين من هؤلاء الذين أقبلوا على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأخذ من ترجمات بعض من سبقهم فيما يشبه السرقة العلمية من جهة ثانية و الأخطاء الفادحة التي ارتكبتها البعض في حق معاني النص القرآني بغض النظر في هذا المبحث عن النيات و الأهداف و المقاصد من جهة ثالثة.

و تعدد الترجمات ليس لافقا للانتباه في مجال ترجمة النصوص المقدسة فحسب بل في جميع الأعمال المترجمة، يقول بشير العيسوي: " و نحن لا ننكر على المترجم العربي تعددية النص المترجم إن كان لذلك ما يبرره، فظهور ترجمة عربية لعمل معين منذ مائة عام لن تكون صالحة لاستخدامنا الآن، و بدأ تكون ترجمة ثانية أمرا واجبا و ضروريا. و لكن وجود سبع ترجمات لمسرحية روميو و جولييت في فترات متقاربة يدعونا للتوقف، فقد ترجمت تلك المسرحية في السنوات: 1898 ترجمها عبده طائينوس، و في 1960 ظهرت ثلاث ترجمات و هي لسمير شبحاني و مؤنس طه حسين و حسن محمود، و في 1978 ظهرت ترجمتان لكل من جمال غازي و علي أحمد باكثير. و كذلك الاوديسة لهوميروس ترجمت ثلاث مرات : في 1948 ترجمها عنبرة سلام الخالدي و في 1960 ترجمها دريني خشبة و في 1978 ترجمها أمين سلامة. إن تلك الظاهرة تستدعي منا التوقف في محاولة لدراسة الأسباب التي أدت إلى وجودها و من ثم

محاولة تلافيتها كي لا تتكرر دونما داع فعلي و عملي." (بشير العيسوي، 1996، ص 11).

و إذا خرجنا عن دائرة النصوص المقدسة إلى النصوص العادية فإن النقد لا يُعتبر ضرورة في باب المعاني فقط بل و في جانب الشكل أيضا فيما يخص الترجمة الأدبية و اللغة فيما يخص ذلك كله. و لأن النشاط الترجمي في القرون الأخيرة خاصة القرن العشرين قد تميز بالتدفق و التسارع من ناحية و السيطرة الاستعمارية اللغوية من ناحية ثانية و الهشاشة اللغوية عند فريق من المترجمين الذين أقبلوا على العمل الترجمي و ذلك كله في غياب شبه تام للنقد قد وأدت ظواهر سينة السمعة و الأثر على اللغة و الترجمة. و لعل أبرز هذه الآثار مسألة الأخطاء اللغوية الشائعة في اللغة العربية مثل عبارة ' نفس الشيء ' و ' من طرف فلان ' و غيرها بسبب ما أرجعه بعض الباحثين إلى ما سَمَوْه " الترجمة الحرفية ". و هذه التسمية في الحقيقة تنم عن بُعد عن الاختصاص و سوء فهم لمعنى الحرفية في الترجمة. إن الحرفية في الترجمة ليست هي ما يُعبر عنه بترجمة الجملة الأصلية بالترتيب نفسه في اللغة الهدف، فهذه الظاهرة هي الترجمة كلمة بكلمة، و الحرفية في الترجمة خاصة بالمعنى لا بالشكل. و لا يصح أن تُستعمل الترجمة الحرفية لبيان سبب الوقوع في الأخطاء الشائعة في مثل الموضوعين المذكورين أنفا بل هي خاصة بعبارات أخرى تخص جانب الكناية و الاستعارة و المثل و غيرها كعبارة ' يلعب دورا ' مثلا.

و يُعد تدخل نقد الترجمة لازما و هاما من عدة جوانب لا مناص من بيانها. فهو بالدرجة الأولى يمثل حماية لمعاني النص الأصلي من التحريف و النقص و التشويه بكل صوره المحتملة. و أساس هذه الحماية تتبع المعاني المترجمة في جميع سياقاتها اللغوية و الثقافية و التاريخية و غيرها. و لا خلاف في أن معاني النص هي ما يقوم عليه و يمنحه أهميته و تميزه اللذين يصاحبان وجوده فهي أولى بالحماية عند الترجمة لأن الترجمة نقل و كل نقل مظنة للتغيير في

المنقول باعتبار العناصر التي تتدخل في عملية النقل ويمكن أن تترك أثارا في المنقول سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، خفية أم جلّية، مؤثرة أم غير مؤثرة.

و المتلقي للترجمة عنصر أساس في العملية الترجمية كلها و إن كان عنصرا خارجيا نوعا ما على ما له من أهمية فرض اختيار النص المراد ترجمته و مراعاة المستوى اللغوي و الفكري. و هو في كل هذا أهل للحماية من عدة أمور منها الخطأ في معاني النص لأن من حق قارئ النص المترجم أن يُعامل كقارئ النص الأصلي فتصله المعلومة كما في الأصل و في قالب لغوي ذي أثر مساو أو قريب من أثر النص الأصلي، بل قد يكون أهم من قارئ النص باللغة الأصلية من ناحية العدد كما هي الحال مثلا في ترجمة معاني القرآن الكريم إذ يُمثل عدد المسلمين غير الناطقين بالعربية و كذا عدد المهتمين بدراسة الإسلام و مصادره الضعف أو ما يزيد عن ذلك مقارنة بالمسلمين العرب. كما ينبغي مراعاة الفروق الثقافية و المستوى الفكري لقارئ النص المترجم فلا يصح ترجمة النصوص الموجهة لفئة العامة بلغة أرفع من القدرة المحتملة لهؤلاء بحجة التميز و الإبداع في ميدان الترجمة أو أي حجة أخرى.

و ليس من الغريب القول بأن المترجم نفسه بحاجة إلى الحماية بواسطة نقد الترجمة. و من شأن هذه الحماية أن توفر له وازعا ضد التساهل و تجاوز الحدود الترجمية فيكون بذلك مدركا لحقيقة تعرض أعماله للتحريض و النقد اللذين قد يكون لهما أثر مباشر و قوي في تدمير صورة المترجم إن اشتملت أعماله على درجة كبيرة من التجاوز أو يكون لهما على الأقل أثر سلبي في مقروئية أعماله. و قد يكون أثر نقد الترجمة في جانب المترجم أعظم من غيره لأن إسهام النقد في بقاء المترجم ضمن الحدود العلمية و الموضوعية للترجمة هو نفسه إسهام عظيم في الاحتفاظ بالمترجم و مكانته ضمن فئة المترجمين الذين يمثل كل عنصر منهم مكسبا ثميناً لهذه الممارسة باعتبار حساسيتها و صعوبة الوصول إلى استحقاقها.

و ينقلب الإدراك بوجود النقد إلى نوع من الرقابة لذاتية التي تنشأ في نفس المترجم على جميع أعماله فيكون المترجم و الناقد في آن واحد. و من أكبر المستفيدين من تدخل النقد في الترجمة هو عالم العلم و المعرفة كله و بدرجات متفاوتة بحسب واقعية استفادة كل مجال من مجالاته من الترجمة. و تاريخ العلوم و الآداب حافل بالشواهد القائمة على مر الدهور و الأزمان شاهدا على وقوف الترجمة ركيزة عظيمة من ركائز نقل العلوم و نشرها و حفظها.

و لم يعد العالم يتصور استمرار تقدم العلوم و الآداب ازدهارها دون الترجمة لأسباب أهمها أن اهتمام الشعوب لم يبق منصبا على العلوم المادية و الاجتماعية فقط بل صار اهتمامها بالآداب متناميا و الآداب بطبيعة الحال أملاك متوزعة بين جميع شعوب العالم. و العلوم نفسها ليست حكرا على شعب واحد أو لغة بعينها بل تزهر العلوم و المعارف في الصين و اليابان و أمريكا و أوروبا و إفريقيا لكل منها نصيب. و لهذا كله وجب تكثيف النقد في ميدان الترجمة و تعميمه حماية للتراث العالمي و المكاسب المعرفية من الزوال و من مخالطة الخطأ و التحريف خاصة إذا قصد إليها مترجمون ينقصهم التكوين في الميدان المترجم فيه. و لم يكن التنبه لهذه المسألة وليد العصر الحديث فهذا صاحب الكشكول يتحدث بإيجاز عن ترجمات حنين بن إسحاق من وجه نظر نقدية بحتة فقال: " الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء سلوت ألفاظها أم خالفتها، وهذا الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيما بها، بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والإلهي فإن الذي عربه منها لم يحتج إلى الإصلاح." (محمد بن حسين الهمداني. 1998 ج 1/ ص 294). فيدل كلامه على أن قلة الاطلاع على مجال النص مظنة للخطأ في ترجمته و هي بالدرجة الأولى أخطاء في المفاهيم و المصطلحات و إدراك العلائق القائمة بين أجزاء ذلك العلم.

و إذا كان كلام صاحب الكشكول عن هذه القضية منذ أربعة قرون فكيف بهذا العصر الذي انقسم فيه كل علم إلى أجزاء و مباحث تطورت لتصير بنفسها علوما قائمة بذاتها لعل خير مثال عنها علوم الطب؟ و صار كل علم من هذه العلوم بحرا قائما بنفسه من المصطلحات و المفاهيم الخاصة به و التابعة له مما ضيق على المترجمين دائرة الموسوعية التي كان يتصف بها الأقدمون منهم إلى ما يُعرف حاليا بالترجمة المتخصصة.

و تبقى اللغة أكثر العناصر التي تستفيد من الترجمة أو تتضرر منها بحسب ما تحمله الترجمة في قلبها اللغوي. و قد دفع الزخم العلمي بكثير من المترجمين إلى التهافت على الترجمة و محاولة مواكبة التوسع المتسارع في مختلف الميادين فوقع عدد منهم في مطبات خطيرة الوقع على اللغة منها التساهل في نقل المصطلح الأجنبي على صورته الملفوظ بها في اللغة الأصل. و أثرت هذه القضية في العالم العربي حديثا فيما يُعرف بالتعريب بمعناه الذي يدل على تقنية الترجمة المصطلح عليها أيضا بالنقل الصوتي أو الاقتراض أو ما يُعرف بالدخيل أو المعرب في اصطلاح القدماء. و من آثار هذا التساهل انتشار كثير من الألفاظ المقترضة من اللغات الأجنبية و فيها عدد كبير مما لا تدعو الحاجة أصلا إلى نقله لوجود المقابل له في اللغة العربية من مثل لفظة السوسولوجيا و البيولوجيا و الميكانيزمات و غيرها.

و ليس حقل المصطلحات فقط الذي عانى و يعاني آثار تساهل بعض المترجمين في مقابل ضعف النقد أو غيابه في كثير من الأحيان بل جميع عناصر اللغة من نحو و صرف و بلاغة و غيرها قد مسها طائف من هذا التساهل و آثاره مما كُتبت فيه الكتب و البحوث و عُيّنت به الدراسات خاصة الحديثة منها. و أكثر هذه الدراسات و المؤلفات جاءت بأقلام أهل اللغة الذين ألهم مال العربية بين يدي فئة من المترجمين الذين وجدوا الحرية في استعمالها حتى خارج حدودها و قواعدها. و من هذه الدراسات مثلا رسالة ماجستير

للباحث محمد عمر محمود فضل الله من قسم اللغة العربية بالخرطوم بعنوان : " أثر الترجمة في الأخطاء اللغوية في اللغة العربية " ( 2009 ) و " معجم الأخطاء الشائعة " لمحمد العدناتي ( مكتبة لبنان. ط 2. 1985. ) الذي تعرض فيه لعدد من هذه الأخطاء التي مصدرها الترجمة، و معجم أخطاء الكتاب لمحمد صلاح الزعبلوي.

و من خلال تعريجنا على ما سبق من الجوانب المستفيدة من نقد الترجمة يتبين بما لا يدعو إلى الشك أهمية هذا العنصر الذي فرض نفسه مؤخرا في الدراسات العلمية و الأكاديمية في ميدان الترجمة و البرامج التعليمية في الجامعات و المعاهد المختلفة. و قد شهد نقد الترجمة محاولات معترف بها لأعلام من أعلام التنظير في هذا المجال منهم أنطوان بيرمان و كتارينا رايس الذين يلزم الوقوف و لو بإيجاز عند محاولتهما الجدية في إرساء قواعد و أسس و مناهج و منطلقات لنقد الترجمة.

أما أنطوان بيرمان فقد أهدى لعالم الترجمة آخر كتاب حرره قبل وفاته و هو:

« Des idées pour une critique des traduction : John Donne »

و قد افتتح كتابه هذا بمحاولة ضبط مفهوم نقد الترجمة انطلاقا من أعمال العديد من أعلام النقد خاصة شليقل و بينجامين فقال في مقدمة كتابه: " انطلاقا من هذه المؤلفات النقدية العظيمة التي لم أتوقف عن قراءتها باستمرار منذ ثلاثين عاما خاصة مؤلفات شليقل و بينجامين رسمت الخطوط العريضة لنقد الترجمة التي تأتي لتأسيس جناح من أجنحة الصرح النقدي."

« Des idées pour une critique des traduction : John Donne. Antoine Berman. P 13. Edition Gallimard. 1995

و أسس بيرمان كتابه هذا على ثلاثة أجزاء أولها يتعلق بنقد الترجمة باعتبارها وجها من أوجه النقد عموما من حيث مفهومه و أهميته. و يمثل الجزء الثاني تطبيقا للجزء الأول على ترجمات جون دُون أما الثالث فتطرق فيه إلى مجموعة من المقالات التي درس من خلالها تلقي ترجمات جون فوزير و إيف دونيس لقصائد جون دون سنة 1962 مركزا على الأحكام التي أطلقت على تلك الترجمة.

أما كتاب كاترينا رايس الذي عنوانه:

« La critique des traductions, ses possibilités et ses limites »

و قد ترجمته من الألمانية كاترين بوكي. و اهتمت رايس في هذا الكتاب أساسا بمسألة تصنيف النصوص و اعتبرته الركيزة التي يجب أن يقوم عليها نقد الترجمات. و في محاولتها لربط تصنيف النصوص بنقد الترجمة اعتمدت رايس منطقا يقوم على العناصر المتسلسلة التالية:

- 1/ كل نص من النصوص المراد ترجمتها داخل في مجال التصنيف العام للنصوص.
  - 2/ يندرج هذا النص ضمن صنف معين سواء أكان ذا طابع إخباري أم تعبيرية أم تحقيقي.
  - 3/ هذا الصنف الذي ينتمي إليه النص هو الذي يحدد طبيعة التكافؤ التي يتطلبها محتوى النص أو شكله.
- و ضمن النص و مجاله يُحدد المترجم العناصر التي يتكون منها النص و يرتبها بحسب أولويتها و أهميتها داخله.
- أما فيما يخص نقد الترجمة عند رايس فهي على العموم ترى أنه ينبغي أن يكون مؤسسا على المقارنة بين النص الأصل و النص المترجم.

نقد الترجمة التعليمي في الجامعة الجزائرية:

تُعَدّ التجربة و المعاشة في مجال التدريس نوعا من البراهين الصادقة على الأحكام و التقييمات التي يُمكن أن تخرج مخرج الخلاصة و النتيجة خاصة في ميدان الدراسات الإنسانية و الاجتماعية. و من منطلق تدريسي لمادة الترجمة في مستويات مختلفة و لفترات ممتدة فإنني وقفت كما وقف كثير من زملاء الأساتذة على حقائق تتعلق بنقد الترجمة التعليمي من جانب المحاضر و من جانب المتلقي الذي هو طالب الترجمة في الجامعة الجزائرية.

و قبل استعراض حقيقة نقد الترجمة من حيث كونه مادة يُقدمها الأستاذ في أقسام الترجمة لا مفرّ لنا من تقرير الحقائق التي تعيش فيها الترجمة في ذهن الطالب و انعكاساتها على أهداف تعليمها و مناهجه و وسائله.

أما الحقيقة الأولى فهي الأثر المباشر الذي تسبب فيه تجاوز الشرط الأول و الأساسي الذي يجب توفّره في طالب الترجمة و المترجم ألا و هو التمكن من اللغتين اللتين تمثلان منطلق الترجمة و مستقرها. و حقيقة الأمر أن الغالبية العظمى و الساحقة من طلبة الترجمة في الجامعة الجزائرية هم متعلمون للغات جميعا سواء العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو ما سواها من اللغات الداخلة في مساره التكويني و إن كان ذلك بدرجات متفاوتة. فهو مثلا في اللغة العربية يأتي إلى أقسام الترجمة ليجد مباحث لغوية لا عهد له بها في المرحلة الثانوية كمباحث الدلالة و فقه اللغة و اللسانيات و تحليل الخطاب التي هي أساسا مطلب قائم تحصيله قبل الشروع في التعرض لتقنيات الترجمة و مناهجها بينما نجد تدريس هذه المباحث للطلاب مزامنا لتعليم تقنيات الترجمة. و حتى تدريس هذه المباحث المذكورة لا يكون في مستوى واحد متقدم بل بعضها يتأخر إلى السنة الأخيرة من التدرج التي يكون الطالب فيها مُطالباً بترجمة أي نص يُقدّم له بحسب الأهداف المسطرة من هذا التكوين. و إن كانت هذه هي الحال

بالنسبة للغة العربية التي هي اللغة الأم قُلُّ أكثر من ذلك و اشد فيما يخص اللغات الأجنبية التي لا يكاد يوجد طالب بمنأى عن المعاناة حتى من صعوبات النطق كما هو الشأن مع اللغة الإنجليزية. و ما يزيد الأمر سوءا هو طبيعة التكوين الذي يشمل ثلاث لغات " كاملة " مع ما تمثله كل لغة من موروثات و قضايا لغوية و خصوصيات و غيرها.

و في ظل غياب مسميات واضحة لمقاييس تدريس اللغات فإن الطالب يبقى عرضة لتقديرات أساتذة اللغات الذين هم أنفسهم في شتات من أمرهم بسبب اصطدامهم بالواقع اللغوي لدى الطلبة الذي يُجبرهم على انتهاز دروس ترقية استدرائية تتنوع من أستاذ إلى آخر.

أما أساتذة الترجمة فيحاولون إدماج الطلبة في عالم الترجمة من خلال الدروس المبسطة و ترجمة الجمل و الكلمات في المرحلة ثم ما يلبثون أن يقفوا في الحرج لا محالة عندما يجب عليهم بحكم التدرج في السنوات أن ينتقلوا إلى مستويات أعلى لتتفاقم المشاكل اللغوية التي يعاني منها الطلبة و تنتقل المعاناة إلى الأساتذة المطالبين بتسيير الأمر بأي كيفية كانت.

هذا من الجانب اللغوي الصّرف، أما من ناحية التكوين الثقافي فإن الأمر لا يتعدى بعض المقاييس في التاريخ و الحضارة في المستويات الأولى و بحجم ساعي محدود و ظروف التدريس الجماعي في المدرجات انتهاءً بالعراقيل اللغوية أصلا خاصة في اللغات الأجنبية.

و بعد هذا كلّه كيف يتصوّر الوصول إلى مرحلة مطالبة الطالب بتعلم مناهج الترجمة و تقنياتها فضلا عن نقدها و تقييمها؟

و رغم هذا الواقع الواضح لا بأس أن أستعرض محاولات الأساتذة في استنهاض الملكة النقدية لدى طلبة الترجمة و هي المحاولات التي تلقى استجابات لدى فئة من الطلبة الذين ينتهجون سبيل الخوض في ميدان الترجمة حتى و إن كان الخوض يخرج في الغالب مخرجا نقّيس وصفه بما عبّر عنه منذ قرون زهير بن أبي سلمى بقوله (ديوان زهير بن أبي سلمى . 1988 م. ص 110):  
رأيت المنايا خبط عشواء من تُصَب  
ثُمته و من تخطى يُعمر  
فيهرم

فإن أصاب الطالب جانباً من الصواب في المسائل الأولية البسيطة فهو في الغالب حظ أصابه و إن أخطأ و كانت المسألة أكبر عنده من أن يستوعبها ظلت قابضة في ذهنه في خاتمة الأخطاء الراسخة إلى حين.

و نحن نلاحظ أن معظم محاولات الطلبة النقدية أو التقييمية تكون مدفوعة إلى كونها انطباعية إذ نراهم يحكمون على ترجمة معينة ب الخطأ أو الاستهجان " لأنها تبدو ثقيلة" أو " لأنهم يشكون في دلالة بعض الألفاظ المستعملة التي لا يعرفون معناها و يفضلون استخدام اللفظ المعهود عندهم دون عناء المقارنة بين اللفظين" إلى غير ذلك من التبريرات التي عهدناها منهم أثناء الدروس. و قد يكون انتقادهم لترجمة من الترجمات مبنياً على التمسك بالمعنى المعجمي الأكثر شيوعاً في استعمالات اللفظ و الالتصاق بالأفكار التي تشيعها بعض الكتب التي توجه لتعليم الترجمة و هي في حقيقتها ذات طابع " تجاري " من مثل التقابلات بين الأزمنة التي يجعلونها قواعد دون مراعاة زمن النص و لا قضية الزمن النحوي و الزمن الدلالي. و مثال ذلك أنك تجد أغلب الطلبة يُصرّ على ترجمة الزمن " الكامل" perfect بزيادة " قد" و ترجمة الماضي بالماضي مطلقاً و الحاضر بالحاضر مطلقاً و غير ذلك، و تمتد هذه " القواعد " من التطبيق إلى استعمالها أداة للنقد و التقييم.

أما اطلاع الطلبة على مناهج نقد الترجمات و تصوراتها فهو أمر و إن كنت لم أصادفه خلال مسيرتي التدريسية فإنني لا أتجراً على إنكار وقوعه رجماً بالغيب و لكنني أستبعد حصوله بالكيفية التي يمكن أن يستفيد منها الطالب في ظل الواقع الذي يعيشه و التخبط اللغوي الذي يتقاذفه.

و إذا أردنا أن نُلخّص واقع نقد الترجمة في التعليم الأكاديمي في الجامعة الجزائرية فهو ما يمثلّه الوصف التالي لحال طالب الترجمة على الأقل في مرحلة التدرج: فلا هو يتعلم اللغة(ات) و لا هو يمارس الترجمة على أصولها و لا هو قادر على نقد الترجمة و تقييمها علمياً و منهجياً.

### نقد الترجمة في الدراسات و البحوث الأكاديمية في الجامعة الجزائرية:

تتدرج الدراسات الأكاديمية في مجال الترجمة عموماً في الجامعة الجزائرية ضمن الأشكال المعهودة للبحث العلمي المتمثلة في: المذكرات و الرسائل الجامعية و الملتقيات و المؤتمرات العلمية و الأيام الدراسية و المجلات المتخصصة و مؤلفات الأساتذة الجامعيين و مشاريع البحث الجامعية.

و نميّز في الدراسات الترجمة على هذا الصعيد منحيين ينحويهما الدارسون و هما: مناقشة القضايا التنظيرية الترجمة عموماً خاصة منها ما تعلق بالتيارات التنظيرية البارزة و الظواهر التي تشغل المترجمين عموماً و الباحثين في اختصاص الترجمة كالمسائل الثقافية و الصعوبات التعليمية و ترجمة الأشكال الأدبية المختلفة التي تتميز بدرجات عالية من الصعوبة و الإشكال. و المنحى الآخر هو الدراسات التطبيقية على المدونات الترجمة. و هذا الاتجاه الأخير هو الغالب في مواضيع الرسائل و الأطروحات الجامعية التي يكفي الاطلاع على عناوينها من إظهار حقيقة أن أكثر من ثلثي تلك

الدراسات يقوم على تطبيق مناهج بحثية مختلفة على مدونات مترجمة من خلال ظواهر متباينة أغلبها لغوي بطبعه.

قد كانت لي إطلالة على عدد من هذه الدراسات تتمثل في رسائل الماجستير التي تمت مناقشتها في قسم الترجمة بجامعة قسنطينة بين سنتي 2005 و 2012 فتبين لي أن أكثر من نصف هذه الرسائل يتبنى الصيغة البحثية التالية: اختيار ظاهرة لغوية أو ترجمة محضة و دراسة ترجمتها في مدونة واحدة أو اثنتين أو ثلاث مدونات بحسب منهج واحد أو اثنين أو ثلاثة أيضا.

و تفصيل هذه الصيغة أن يعمد الباحث إلى انتقاء ظاهرة لغوية نحوية كالضمائر و الحروف و الأزمنة و الأفعال و الصفات أو بلاغية كالاستعارة و الكناية و المجاز أو أسلوبية كالحذف و الاستفهام أو دلالية كالاشتراك اللفظي و التضاد أو كانت قضية ترجمة كالخصوصيات الثقافية و مسألة الحرفية في الترجمة و الاتجاه التأويلي و غيرها. و هذه الظواهر التي سردها أنفا كلها كانت مواضع لدراسات أجريت بقسم الترجمة في جامعة قسنطينة. و بعد اختيار الظاهرة ينتقل الباحث إلى اختيار مدونة يعمل عليها و هي سواء أكانت مترجمة إلى العربية أم إلى الفرنسية أم إلى الإنجليزية مع طغيان المدونات المترجمة إلى اللغة الفرنسية نسبيا.

ثم بعد اختيار المدونة ينتقي الباحث منهجا من مناهج البحث العلمي ليطبقه على دراسة الظاهرة التي اختارها في المدونة التي أراد العمل عليها. و من خلال تتبع المناهج المختارة في الدراسات المذكورة لاحظت ورود الصيغ التالية بدرجات متفاوتة من التكرار: ( دراسة نقدية ) ( دراسة نقدية مقارنة ) ( دراسة تحليلية نقدية ) ( دراسة تحليلية مقارنة ) ( دراسة تحليلية ) ( دراسة تحليلية مقارنة ) ( دراسة تحليلية نقدية مقارنة ) ( دراسة ثلاث حالات ) ( دراسة وصفية مقارنة ) ( دراسة تحليلية وصفية ) ( دراسة أسلوبية مقارنة ).

و للتوضيح أكثر سأعرض بعض العناوين الكاملة لمثل هذه الدراسات:

- 1/ المشترك اللفظي في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية: لفظ الأمة أنموذجاً. دراسة نقدية مقارنة.
- 2/ الأضداد و ترجمتها في القرآن الكريم على اللغة الفرنسية عند أبي بكر حمزة.
- 3/ ترجمة المتلازمات اللفظية إلى اللغة الفرنسية. الربع الأول من القرآن الكريم أنموذجاً. دراسة تحليلية نقدية.
- 4/ مفهوم الربح و الخسارة في الترجمة. رواية "Le père Goriot" لبليزاك ، ترجمة نبيه صقر أنموذجاً. دراسة تحليلية مقارنة.
- 5/ ترجمة مالك حداد إلى العربية. دراسة أسلوبية مقارنة عن رواية " رصيف الأزهار لا يجيب " .

و على هذا المنوال جرت أكثر الرسائل الجامعية في القسم المذكور.

أما لمنهج الدراسة فكان دائماً قائماً على المقابلة بين النص الأصلي و النص أو النصوص المترجمة في حال التعدد. أما إذا كانت المدونة نصاً واحداً فإن الباحث يركز اهتمامه على مقابلة ترجمات الظاهرة موضوع البحث مع مواضع ورودها في الأصل و استخلاص مدى مطابقة هذه لهذه بناء على المعنى المعجمي أو السياقي أو الأثر أو غير ذلك. و في حال تعددت المدونات فإن الباحث في هذه الحال يؤسس بحثه على المقارنة بين الترجمات المتعددة و حصر مواضع التشابه و مواضع الاختلاف ثم مقابلتها مع المعاني أو الآثار الأصلية في نص الانطلاق.

و الملاحظ خلال الدراسة التطبيقية في هذه المذكرات أن الباحثين ينقسمون في مسألة الحكم على الترجمة فريقين: أحدهما يكتفي ببيان أوجه الشبه أو الاختلاف بين الأصل و الترجمة ثم يختم

بحته باستنتاج عام يغلب فيه الظاهرة الأكثر شيوعا سواء التشابه أو الاختلاف، و فريق يتعدى الجانب الوصفي إلى الحكم على الترجمة بالنجاح أو الإخفاق في كل موضع و المفاضلة بين الترجمات المتعددة بناء على درجات موافقتها للأصل.

و معظم الباحثين في هذه الحال يتجنب إرسال الأحكام المطلقة بلفظ " خاطئ " تحرزا من تهمة الانحياز للأصل أو فرط الثقة بالنفس.

و لاحظنا من خلال مناقشات بعض هذه الرسائل أن عددا من الباحثين يُسمي في عنوان بحثه منهجين أو ثلاثة لكنه يُهمّل أحدها في أثناء الدراسة و يطغى على دراسته منهج واحد يكون في الغالب المنهج النقدي أو المقارن.

و في هذا كله نرى غيابا تاما أو شبه تام لاعتماد الباحثين على واحد أو أكثر من مناهج نقد الترجمة التي اجتهد فيها المنظرون لأسباب يبقى مجال التخمين فيها أوسع من باب الجزم. فقد يكون السبب في ذلك قلة هذه الدراسات التي انعكست على مدى انتشارها و تبنيها. و قد تكون الانتقادات التي تعرضت لها هذه المحاولات قد كبحت نوعا ما انتشارها و فاعليتها. أو قد يعتبر بعض الباحثين هذه المحاولات فردية أو غير قابلة للتعميم على جميع النصوص و القضايا الترجمية. أو قد يتخوف بعض الباحثين خاصة في مرحلة الماجستير التي تعد أول بحث أكاديمي متكامل في مجال الترجمة من الارتواء على هذه المحاولات التأسيسية لنقد الترجمة باعتبار حداثتها و ضيق مجال تطبيقها الفعلي. أو لعله نقص الوعي لدى بعض الباحثين بأهمية المبادرة إلى تفعيل مثل هذه المحاولات و تنميتها و تطويرها لترقى إلى مرتبة المنهج المتكامل.

### الخاتمة:

مهما أطلنا الحديث في باب نقد الترجمات الذي لا تسعه هذه الورقة البحثية المحدودة فإنه يبقى بابا مفتوحا لا ينغلق لعدة عوامل أبرزها عدم استقرار الدراسات الترجمة ككل و عدم الاهتمام المناسب بترقية نقد الترجمة إلى مصاف المناهج المتكاملة بدءا بتعليمه و انتهاء بتطبيقه و العمل به. لكن هذه المرحلة في الوقت الحالي تبقى رغبة بعيدة التحقيق في ظل العزوف الأكاديمي عن تطوير مناهج نقد الترجمة و الخروج بها إلى دائرة الاستقلال عن مباحث علم النص و المباحث الأدبية.

إنه لمن الضروري التذكير بأن النقد هو أنجع سبيل لضبط العلوم و المعارف و تنميتها و إضفاء الجانب الموضوعي عليها و تحريرها من الذاتية و الأنانية الفكرية و تنظيم مساراتها و حماية جميع الأطراف التي تتدخل فيها.

المصادر و المراجع:

- الترجمة إلى العربية قضايا و آراء. بشير العيسوي. دار الفكر العربي.  
ط 1. 1416 هـ / 1996 م.  
الكشكول. محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمداني،  
بهاء الدين. تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. ط 1. دار الكتب  
العلمية. بيروت ن لبنان. 1418 هـ - 1998 م. ج 1.  
معجم أخطاء الكتاب. لمحمد صلاح الزعبلوي. ط 1. دار الثقافة و  
التراث. دمشق، سوريا. 1427 هـ / 2006 م.  
أثر الترجمة في الأخطاء اللغوية في اللغة العربية. محمد عمر محمود  
فضل الله. جامعة الخرطوم. السودان . 2009.  
معجم الأخطاء الشائعة. محمد العدناني. ط 2. مكتبة لبنان. بيروت،  
لبنان. 1985.  
ديوان زهير بن أبي سلمى . شرح علي حسن فاعور. ط 1. دار الكتب  
العلمية. بيروت ، لبنان. 1408 هـ / 1988 م.

Antoine Berman. **Des idées pour une critique des traductions** : John Donne. Editions Gallimard. 1995.  
Katharina Reiss. **La critique des traductions, ses possibilités et ses limites**, Traduction par Catherine Bocquet. Cahiers de l'Université d'Artois 23/2002.

Dépôt légal : 2012-974



دار الغرب للنشر والتوزيع

55. شارع بوزيوجة أحمد

حي العثمانية مافال- وهران - الجزائر

الهاتف : 04158 85 52 041 58 85 53

email: editions.dar.elgharb@gmail.com